[١٣٥ – عن عبد الله بن عمرو بن العاص – رضي الله عنهما – عن أبي بكر الصديق – رضي الله عنه –: أنه قال لرسول الله ﷺ: علمني دعاءً أدعو به في صلاتي، فقال: (قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا ولا يغفر الذنوب إلا أنت فاغفر لي مغفرةً من عندك وارحمني إنك أنت الغفور الرحيم)].

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة السلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، سيدنا محمدٍ وعلى آله وصحبه أجمعين. أما بعد: فقد ذكر المصنف – رحمه الله – حديث أبي بكر الصديق – رضي الله عنه وأرضاه – حيث سأل النبي ﷺ أن يعلمه دعاءً يدعو به في صلاته، فعلمه النبي ﷺ هذه الكلمات الطيبات المباركات وجعلها سنةً لهذه الأمة، ونظرًا لكون هذا الدعاء في الصلاة، ناسب أن يعتني المصنف – رحمه الله – بذكره بعد بيان أدعية الصلاة.

يقول – رضي الله عنه وأرضاه –: **[علمني دعاءً أدعو به في صلاتي]** في هذه الجملة دليلٌ على فضل أبي بكر الصديق – رضي الله عنه وأرضاه – وأنه كان حريصًا على الخير والبر حتى كان في دعائه في صلاته وأشرف مواقفه بين يدي ربه يسأل كيف يدعو، وكيف يناجي، وكيف يسأل، وفيه دليلٌ على أنه ينبغي التواضع للعلم وأنه مهما ارتفعت درجة الإنسان فعليه أن يتواضع وأن يذل لأمر الله – عز وجل – ولذلك قال: **[علمني]** وهو التماسٌ وطلبٌ أن يعلمه رسول الله ﷺ وهذا أدبٌ من آداب طلب العلم: أن يشعر الطالب والسائل أنه يريد الفائدة ويُشعر العالم أنه محتاجٌ إلى علمه وفيه نبراسٌ وهديٌ لطلاب العلم إذا جلسوا مع العلماء أو ذاكروا أهل العلم أن يتواضعوا لهذا العلم، كما يجب على العلماء أنفسهم أن يتواضعوا لهذا العلم أيضًا. فقال: **[علمني]** فإذا كان صديق الأمة يقول هذه الكلمة فإن غيره من باب أولى وأحرى، وقلَّ أن ترى عينك في هذا الزمان من يتواضع لأهل العلم وليس معنى ذلك عدم وجوده، ولكنه موجودٌ وقليلٌ؛ لأن الناس تكبروا على العلماء وتعالوا عليهم حتى إن السائل إذا جاء يسأل العالم لربما أفتى نفسه قبل أن يسمع

الجواب، وانظر إلى أصحاب رسول الله ﷺ كيف كانت كلماتهم وكيف كانت الجمل التي يختارونها لخطاب رسول الله ﷺ ، فمن جاء يسأل حريٌّ به أن يشعر من يسأله بحقه عليه **[علمني]**، قال موسى بن عمران – عليه وعلى نبينا الصلاة والسلام –: ﴿ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰٓ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ﴾ فالله رفع العلم ورفع قدر العلماء ومن رفع قدرهم فقد عظم شعائر الله ﴿ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ قال لرسول الله ﷺ: **[علمني]**؛ لأن الله علم نبيه ﷺ ما لم يكن يعلم وكان فضل الله عليه عظيمًا، ولما علم الله نبيه – صلوات الله وسلامه عليه – علم نبيُّنا – عليه الصلاة والسلام – الصحابة وحرص على دلالتهم على الخير ودلالة أمته على الهدى والبر.

[علمني دعاءً أدعو به في صلاتي] وهذا الأدب الذي سبق التنبيه عليه أمرٌ مهمٌّ جدًا ولذلك ينبه العلماء على أنه ينبغي تذكير طلاب العلم والناس دائمًا بحقوق العلم، وهذا الأمر إذا حفظه الناس حفظت حرمة الدين وحفظت هيبة الدين، فإذا تواضع الناس للعلماء والتمسوا منهم العلم النافع وسألوهم عن الهدي والسنن التي كان عليها رسول الله ﷺ أصابوا خير الدين والدنيا والآخرة. وينبغي دائمًا أن يُذكَّر طلاب العلم بأسلوب السؤال فإن أبا بكرٍ – رضي الله عنه وأرضاه – لما خاطب النبي ﷺ بهذا الأدب دل على أنه ينبغي للسائل أن يتخير الألفاظ والجمل المناسبة، فقول السائل للعالم: لماذا؟ أو هل تقول بكذا وكذا؟ أو ما قولك في كذا وكذا؟ أو نحو ذلك مما يشعرك أن قوله خاصٌّ به وكأنه علمٌ من عنده، خلاف الأدب. والعلماء ينبهون على أنه ينبغي تذكير الناس بين الحين والحين بأدب السؤال، وينبغي أيضًا الحرص على مراعاة المشاعر **[علمني دعاءً أدعو به في صلاتي]**، كذلك أيضًا ينبغي للمسلم أن يأتسي بصديق الأمة – رضي الله عنه وأرضاه – ويقتدي به حيث سأل النبي ﷺ عن أفضل الدعاء وأحسن المسألة، وهذا يدل على أنه ينبغي للمسلم إذا أراد أن يعبد الله ﷻ أن يسأل عن أفضل العبادات وأفضل الأذكار وأفضل الأدعية التي وردت في سنة النبي ﷺ ودل عليها – صلوات الله وسلامه عليه –.

وقوله – رضي الله عنه وأرضاه –: **[أدعو به في صلاتي]** للعلماء فيه وجهان:

قال بعض العلماء: هذا الدعاء يدعى به في مواطن الدعاء، فيدعى به في السجود ويدعى به بعد التشهد.

وقال بعض العلماء: الأفضل والأكمل: أن يكون بعد التشهد.

والصحيح: الأول: أن هذا الدعاء يكون في السجود ويكون بين السجدتين ويكون بعد التشهد؛ لأنه قال: [**أدعو به في صلاتي**] ومعناه: أنه يدعو به في مواطن الدعاء، ومواطن الدعاء في الصلاة تكون في السجود؛ لأن النبي ﷺ بين في الحديث الصحيح أن أقرب ما يكون العبد من ربه إذا كان ساجدًا، وأن السجود مظنة إجابة الدعوة إذا دعا فيه المسلم وقال ﷺ في هذا المعنى: (فقَمِنٌ أن يستجاب لكم) أي: حريٌّ إذا دعوتم وأنتم في السجود أن يستجاب دعاؤكم، ولذلك اختار النبي ﷺ للسجود أعظم الأدعية فقال: (يا مقلب القلوب ثبت قلبي على دينك) وفي الرواية الأخرى: (يا مصرف القلوب صرف قلبي على دينك) فهذا يدل على فضل هذا الموضع واختصاصه بالدعاء والمسألة. وكذلك أيضًا بين السجدتين؛ لأن النبي ﷺ كان يقول بينهما: (اللهم اهدني وارحمني وعافني وارفعني وانفعني واجبرني ...إلى آخر الدعاء المأثور). وكذلك بعد التشهد؛ لأن النبي ﷺ قال بعد ذكره للتشهد: (ثم ليتخير من المسألة ما يشاء)، فهذه الثلاثة المواضع يشرع فيها ذكر هذا الدعاء وإن كان بعض العلماء – رحمهم الله – قد استحب أن يكون بعد التشهد فهذا موضعٌ من المواضع؛ لأن الحديث ورد على سبيل العموم.

وقوله – رضي الله عنه وأرضاه –: [**أدعو به في صلاتي**] قال العلماء: إن هذا الدعاء من أفضل الأدعية؛ لأن النبي ﷺ سأله أبو بكر – رضي الله عنه وأرضاه – هذه المسألة الخاصة؛ لكي يدله على خصوص الدعاء يعني: على دعاءٍ له فضله، ومن هنا قال العلماء: إن لهذا الدعاء فضلٌ ومن السنة أن يتحرى المسلم ذكر هذا الدعاء العظيم الذي اشتمل على المقاصد العظيمة في مسألة الله – سبحانه وتعالى –.

قال – عليه الصلاة والسلام –: [**قل: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا**] "اللهم" أي: يا الله "إني ظلمت" وجاء بصيغة التوكيد؛ لأن العبد مذنبٌ خطاءٌ والإنسان لا يسلم من الجهل والخطأ إلا أن يعصمه الله بعصمته. "إني ظلمت نفسي" والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، وهو درجاتٌ أعظمها: أن يصرف حق الله لغير الله – جل جلاله – وهو الشرك، كما قال تعالى: ﴿ يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾ فأعظم الظلم: أن يصرف العبد حق الله لغير الله، كالدعاء والنذر والذبح ونحو ذلك مما هو حقٌّ لله وحده لا شريك له، ثم بعد ذلك تكون المظالم بحسب الذنوب تتفاوت مراتبها وتتباين درجاتها على حسب ما فيها

من الخطأ والإساءة. فأعظم الذنوب: التي يكون بها ظلم الإنسان لنفسه ما كان منها من الكبائر ثم يليها الصغائر – وهي التي تسمى باللمم –. فأما كبائر الذنوب: فهي كل ذنبٍ سماه الله ورسوله ﷺ كبيرةً، أو وردت عليه العقوبة في الدنيا أو في الآخرة أو فيهما معًا، أو توعد الله عليه باللعنة أو بالغضب أو نفي الإيمان – نسأل الله السلامة والعافية –، فهذه كلها من كبائر الذنوب التي إذا اجتمعت على العبد ربما أهلكته، وهي في الدرجة الثانية بعد الكفر بالله – عز وجل –، وأعظمها كما ثبت عن النبي ﷺ: أن أعظم الكبائر وأشدها بعد الشرك بالله ﷻ : عقوق الوالدين، فعقوق الوالدين من أعظم الكبائر؛ لأن الله قرن حقهما بحقه – سبحانه وتعالى –، وقال بعض العلماء: بل أعظم: قتل النفس التي حرم الله. ثم تأتي مراتب الذنوب الكبيرة على حسب ما فيها من الإساءة. وبعد الكبائر يكون الظلم بالصغائر، وصغائر الذنوب هي التي دون الكبائر وأمرها أوسع من الكبائر في المغفرة والعفو من الله – سبحانه وتعالى –، وقد أجمع العلماء – رحمهم الله – على أن الصغائر تغفر باجتناب الكبائر وأن الله – تعالى – يكفر عن عبده صغائر الذنوب إذا ترك الكبائر؛ لقوله تعالى: ﴿ إِن تَجْتَنِبُواْ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ ﴾ فأخبر الله – سبحانه وتعالى – أنه يكفر السيئات – وهي الصغيرة – بسبب اجتناب السيئات الكبيرة، وصغائر الذنوب تكون المغفرة منها فيما بين العبد وبين الله إذا كان الحق فيها لله – سبحانه – وتكون المغفرة فيها فيما بين العبد والعبد إذا سامح صاحب الحق وتنازل عنه وكذلك إذا استغفر العبد، فتستجمع هذين الشرطين مع الإقلاع والندم. وكذلك الكبائر فما كان منها فيما بين العبد وربه إن تاب تاب الله عليه، وما كان منها فيما بين المخلوق والمخلوق، كقذف المحصنات وقتل النفس ونحو ذلك، فإنه لا بد من عفو صاحب الحق عن حقه وتنازله عنه.

قال: **[قل: اللهم إني ظلمت نفسي]** والنفس قيل: هي الروح، وقيل: النفس غير الروح، وتكون النفس أمارة بالخير وتكون أمارة بالسوء وتكون مطمئنةً بالخير، فهناك نفسٌ على طاعةٍ وخيرٍ وهي النفس التي تنهى صاحبها عن السوء، قال تعالى: ﴿ لَآ أُقْسِمُ بِيَوْمِ ٱلْقِيَـٰمَةِ ۝١ وَلَآ أُقْسِمُ بِٱلنَّفْسِ ٱللَّوَّامَةِ ﴾ قال طائفةٌ من العلماء: هي التي تلوم صاحبها على الذنب وعلى الإساءة وعلى التفريط في جنب الله ﷻ ، وتكون النفس مطمئنةً مطيعةً مؤمنةً موقنةً، وهي التي عناها الله ﷻ بقوله: ﴿ يَـٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ۝٢٧ ٱرْجِعِىٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةً مَّرْضِيَّةً ۝٢٨ فَٱدْخُلِى فِى عِبَـٰدِى ۝٢٩ وَٱدْخُلِى جَنَّتِى ﴾ وكذلك تكون النفس أمارةً بالسوء كما قال تعالى: ﴿ وَمَآ

أُبَرِّئُ نَفۡسِيٓۚ إِنَّ ٱلنَّفۡسَ لَأَمَّارَةُۢ بِٱلسُّوٓءِ ﴾ فالنفس يكون منها الشر ويكون منها الخير، ومن أقامها على طاعة الله أمرته بأمر الله ونهته عما نهى الله عنه، ومن أرسل لها العنان في معصية الله فإنها تجره إلى الهوى وتأمره بما فيه السوء والردى – نسأل الله السلامة والعافية –.

[**اللهم إني ظلمت نفسي**] قال العلماء: يظلم العبد نفسه؛ لأنه إذا فعل الذنب فقد فتح على نفسه شر الدنيا والآخرة وذلك على حسب ما يكون منه من الذنوب، ومن هنا كان النبي ﷺ يقول: (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا) وفي الدعاء المأثور: (أعوذ بك اللهم من شر نفسي وشر كل دابةٍ أنت آخذ بناصيتها) فالنفس منها شرور فإذا طمعت في الهوى وسلكت سبيل الغي والردى فإنه حينئذٍ يكون الإنسان قد ظلمها؛ لأن الواجب: أن ينهاها وأن يزجرها ويعظها، ويذكرها بوعيد الله ويخوفها بتهديده حتى تستقيم على أمره وتثبت على طاعته، فإذا فعل المعصية فإنه قد فتح عليها باب الشر، ولربما حيل بين الإنسان وبين الخير بسبب الذنب فيما بينه وبين الله، حتى إن النفوس تحجم عن الطاعة ويكون بينها وبين الطاعة حائلٌ يحول بينها وبين بلوغها مع أنها تتمنى الخير وتتمنى الطاعة والبر، ولكن الذنوب هي التي تحول بينها وبين ذلك، فكم من إنسان يحب الطاعات ويشتاق إلى فعلها ولكن لا يستطيع إليها سبيلاً، فكم من إنسان يعلم بفضل القيام وفضل الصيام وفضل تلاوة القرآن، ولكن من الذي وفقه الله ﷻ للفعل. فهو يحب ذلك ولكن ما إن يتجه إليه حتى يحس أن بينه وبينه أمورًا تحول دون البلوغ لذلك الخير الكثير والفضل العظيم والسبب في ذلك: الذنب، فإن الذنب يحول بين النفس وبين الطاعة، وإذا حال بين النفس وبين الطاعة أظلمت وتردت وهوت وشقيت في الدين والدنيا والآخرة على حسب الذنوب. قال سفيان – رحمه الله –: أذنبت ذنبًا فحرمت قيام الليل ثلاثة أشهر. فإذا فعل العبد الذنب أظلم قلبه وكأنه بفعله للذنب أدخل الشر على نفسه، ومن هنا قال ﷺ: (ونعوذ بالله من شرور أنفسنا) فزلةٌ من لسانٍ يزلها العبد فيقول الكلمة التي تغضب الله أو تسخطه من غيبةٍ أو نميمةٍ أو همزٍ أو لمزٍ أو نحو ذلك قد يُظلِم بها القلب فلا ينتفع بطاعةً مدةً وزمانًا فالمسلم يظلم نفسه إذا وقع في الذنب قالوا فيحال بينه وبين الخير والبر كما أنه إذا ظلم نفسه يظلم نفسه بفعل الذنب لأنه إذا فعل الذنب فإن الله ﷻ قد يعاقبه عليه في الدنيا أو يؤخر عليه العقاب في البرزخ والقبر أو يؤخر عقابه إلى الآخرة أو يجمع له بين عقوبة الدنيا والآخرة فإذا وقعت له هذه العقوبة وحصلت له هذه العواقب الوخيمة فقد أورد

نفسه موارد الردى وحينئذ ظلمها وعذبها وأوردها موردًا وخيمًا في الدنيا والآخرة ولذلك قالوا يوصف الإنسان بكونه ظالمًا لنفسه؛ لأن ذلك بسبب ما اكتسبه من الذنب فهو بظلمه للنفس يقع في هذين الأمرين:

الأمر الأول: كونه يحال بينه وبين الطاعة فيظلم نفسه فلا تنتفع بالخير.

والأمر الثاني: أنه يظلم نفسه فيعذبها بعقوبة الذنب إما في الدنيا وإما في الآخرة وإما فيهما معًا – نسأل الله تعالى العفو والعافية –.

[اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا] فالعبد لا يسلم من الهنات ولا يسلم من الزلات ولا يسلم من الخطيئة والسيئات، فتجتمع عليه نفسٌ أمارةٌ بالسوء وشيطانٌ يدعو إلى الردى وقرناء سوءٍ، فيعظم ذنبه ويكثر خطؤه، وإذا كان هذا صديق الأمة – رضي الله عنه وأرضاه – يعلمه النبي ﷺ أن يقول: اللهم إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، فكيف بنا نحن؟ إذا كان هذا أفضل الأمة بعد نبيها – رضي الله عنه وأرضاه – يقول: ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، مع الطاعات والخيرات والرضوان من الله عز وجل عليه فكيف بمن دونه؟ وقال بعض العلماء: إن الإنسان مهما كان لا يسلم من الظلم ولا يسلم من الإساءة فيما بينه وبين الله وفيما بينه وبين الناس ولذلك قال ﷺ: (إن تغفر اللهم تغفر جمّا، وأي عبد لك ما ألما؟).

وقوله: **[ظلمًا كثيرًا]** الوصف بالكثرة ضد القلة وهذا لا شك أن الإنسان يظلم نفسه ظلمًا كثيرًا فيما بينه وبين الله، فكم من هناتٍ وزلاتٍ وخطيئاتٍ، كم من أوامر لم يمتثلها لله عز وجل ، وكم من نواهٍ ومحارم يقترفها صباح مساء حرمها الله عز وجل عليه، كذلك أيضًا ظلم نفسه بترك ما أمره الله عز وجل به من شكره والإحسان في نعمه، فمن الذي يشكر الله حق شكره؟ ومن الذي يذكر الله حق ذكره؟ ومن الذي يقوم بحق الله عز وجل على وجهه؟

هذا فيما بينه وبين الله، وأما فيما بينه وبين الناس: فإن الحقوق عليه كثيرةٌ، ولو حاسب الله عز وجل العبد عن ولدٍ من أولاده وحقه عليه لكان من الهالكين، ولكن الله – سبحانه – بمنه وكرمه ولطفه يغفر ويستر، كما قال ﷺ: (فتنة العبد في أهله وماله وولده تكفرها الصلاة) أي: أنه إذا صلى الصلوات الخمس غفر الله له صغائر الذنوب التي تكون بينه وبين أولاده وأهله وزوجه، فالظلم الكثير واقعٌ من الناس وإذا كان هذا – كما ذكرنا – مع أفضل الأمة فإنه من باب التنبيه بالأعلى على من هو أدنى منه.

وقوله ﷺ: **[فاغفر لي مغفرةً من عندك ولا يغفر الذنوب إلا أنت]** قوله: "ولا يغفر الذنوب إلا أنت" توحيدٌ وإيمانٌ وإسلامٌ واستسلامٌ وإذعانٌ، فاعترف لله ﷻ أنه وحده الذي يغفر الذنب فلا يغفر الذنب إلا الله الذي هو أرحم الراحمين وخير الغافرين، الذي هو كريمٌ يحب العفو فيعفو عن عباده بمنه وفضله.

[ولا يغفر الذنوب إلا أنت] فيه دليلٌ على أن المغفرة مختصةٌ بالله ﷻ ولا تكون لملكٍ مقربٍ ولا لنبيٍّ مرسلٍ ولا لأحدٍ غير الله – جل جلاله –. والغفر أصله الستر، ومنه سمي "المغفر"؛ لأنه يستر رأس الإنسان في الحرب من الضربات والضرر، وقالوا: سميت المغفرة مغفرةً؛ لأن الله إذا غفر الذنب لعبده ستره ولم يؤاخذه عليه في الدنيا ولا في الآخرة، فكأن الذنب لم يكن من العبد.

وقوله ﷺ: **[فاغفر لي]** دعاءٌ وترحمٌ يلتمس فيه ﷺ من ربه أن يغفر، فإذا كان لا يغفر الذنوب إلا الله فإن المغفرة تسأل منه، ولذلك في الحديث الصحيح يقول – عليه الصلاة والسلام –: (أذنب عبدٌ ذنبًا فقال: رب اغفر لي، فقال الله – تعالى –: علم عبدي أن له ربًا يأخذ بالذنب ويعفو عن الذنب، قد غفرت لعبدي. ثم أذنب ثانيةً فقال: رب اغفر لي، فقال الله تعالى: علم عبدي أن له ربًا يأخذ بالذنب ويعفو عن الذنب، قد غفرت لعبدي. فأذنب ثالثةً فقال: رب اغفر لي، فقال الله تعالى: علم عبدي أن له ربًا يأخذ بالذنب ويعفو عن الذنب، قد غفرت لعبدي وليفعل ما شاء) أي: ما دام أنه إذا وقع في الذنب سأل الله المغفرة وتاب توبةً نصوحًا فليفعل ما شاء فإني سأغفر له. فالله يغفر الذنوب بل ومن كرمه – سبحانه –: أنه يحب المغفرة، ولذلك يغفر للعبد بسببٍ وبدون سببٍ، فله رحماتٌ وله مغفراتٌ يرحم بها عباده، إذا استرحموه رحم؛ لأن الكريم لا يخيب سائله، ومن كرمه – سبحانه –: أنه ربما أذنب العبد الذنب فتاب توبةً نصوحًا من قلبه فرده الله إلى حالٍ أفضل من حاله قبل الذنب، ولذلك لما استغفر سليمان ربه ﷻ قال: ﴿ قَالَ رَبِّ ٱغْفِرْ لِى وَهَبْ لِى مُلْكًا لَّا يَنۢبَغِى لِأَحَدٍ مِّنۢ بَعْدِىٓ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْوَهَّابُ ﴾ فأعاده الله إلى فضلٍ أفضل مما كان عليه، فجمع له بين خير الدين والدنيا وأعطاه وأوسع له من فضله. قال – تعالى – عن نبيه داوود أيضًا: ﴿ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴾ فالعبد الذي يستغفر الله من قلبه، ويستغفره بيقينٍ ويعلم علم اليقين أنه كريمٌ وأنه حليمٌ رحيمٌ، ويدعوه دعاءً صادقًا، فإن الله ﷻ يغفر ذنبه (يا ابن آدم إنك ما دعوتني ورجوتني غفرت لك على ما كان منك ولا أبالي، يا ابن آدم لو بلغت ذنوبك عنان السماء ثم استغفرتني لغفرتها لك ولا

أبالي)، فالله – تعالى – كريمٌ، عظيم الرحمة وواسع المغفرة، قال تعالى: ﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ﴾ فهو – سبحانه – أعظم من الذنب وأكبر من الذنب، ولذلك قال ﷺ: **[فاغفر لي مغفرةً من عندك]**، فإذا كان لا يغفر الذنوب إلا الله فكأنه يقول: أين أفر؟ وأين ألتجئ؟ وبمن أحتمي؟ فلا يغفر الذنوب إلا أنت، فلا ملاذ ولا معاذ ولا ملجأ ولا منجى من الله إلا إليه، فقال: "فاغفر لي مغفرةً من عندك".

[فاغفر لي مغفرةً من عندك] الله يغفر الذنب إما بسببٍ، كالطاعات التي تكون بين العبد وبين الله، وإما أن يغفر الذنب من عنده – سبحانه وتعالى – تفضلاً وكرمًا وهو المتفضل والمتكرم في كلا الحالين، فيغفر – سبحانه وتعالى – الذنب بفعل الطاعات كما ثبت عن النبي ﷺ في الخصال الموجبة لمغفرة الذنوب، كالصلوات الخمس يكفر الله بها الذنوب، وثبت في الحديث الصحيح عن النبي ﷺ: أنه مثل الصلوات الخمس برجلٍ على بابه نهرٌ جارٍ غمرٍ يغتسل فيه كل يومٍ خمس مراتٍ، هل يبقى من درنه شيءٌ؟ قالوا: لا يا رسول الله، قال: فذلك مثل الصلوات الخمس وما يكفر الله بهن من الخطايا). فلو أنه اغتسل يومًا واحدًا لربما ما بقي من درنه شيءٌ، فكيف إذا كان يغتسل في اليوم خمس مراتٍ؟ فالصلوات الخمس تكفر الذنوب وتتحات بها الخطايا ويستوجب صاحبها بها المغفرة والرحمة من الله ﷻ ، وكذلك أيضًا فعل الفرائض الأخر من الزكوات والصيام والحج إلى بيت الله الحرام، ولذلك قال ﷺ: (من صام رمضان إيمانًا واحتسابًا غفر له ما تقدم من ذنبه) وقال: (من حج هذا البيت فلم يرفث ولم يفسق رجع من ذنوبه كيوم ولدته أمه). فهذه مغفرةٌ يسميها العلماء "المغفرة بالسبب" وهو أن يفعل العبد طاعةً فيما بينه وبين الله فيغفر الله له بفضله، ثم بهذه الطاعة التي أداها على وجهها. كذلك تكون المغفرة رحمةً من عند الله – سبحانه وتعالى –، فالله ﷻ قد يغفر للعبد تفضلاً منه وكرمًا، ففي الحديث الصحيح عن ابن عمر – رضي الله عنهما – أن النبي ﷺ قال: (يدني الله ﷻ العبد يوم القيامة ويلقي عليه كنفه، ثم يقول: عبدي فعلت كذا يوم كذا وكذا؟ قال: بلى يا رب، قال: فعلت كذا وكذا يوم كذا وكذا؟ فيقر ويعترف حتى يظن أنه قد هلك، فيقول الله – تعالى –: عبدي سترتها عليك في الدنيا، فها أنا أسترها عليك اليوم) فالله يغفر لعبده تفضلاً منه وكرماً، وقد تكون من الله ﷻ الرحمة للعبد، خاصةً إذا كثرت منه الطاعات وكثر منه الخير، وأحسن إلى الناس وفرج كربات المحتاجين، فإن أمثال هؤلاء يرحمون ولذلك قال ﷺ: (الراحمون يرحمهم الله).

فمن أسباب الرحمة وأسباب المغفرة التي قد تكون بالعمل ومن بعد العمل: كثرة الأعمال الصالحة، فيغفر بالعمل الصالح ثم يغفر تفضلاً من الله ﷻ وكرمًا، فالمقصود: أن مغفرة الله ﷻ لعبده لا تقف عند حدٍّ، والله ﷻ لا يسأل عما يفعل، وقد يذنب العبد عمره ثم يريد الله رحمته فيغفر له في آخر عمره، ولذلك ترى الرجل يبلغ من العمر الستين والسبعين وهو مسرفٌ على نفسه، بعيدٌ عن ربه، حتى إذا وهن عظمه وابيض شعره انكسر قلبه لله ﷻ ، فجاء تائبًا لله في آخر عمره مستغفرًا مسترحمًا، فيأتي في الحج ثم يشاء الله أن يموت عشية عرفة أو يموت في أيام التشريق، كل هذا يدل على سعة رحمة الله ﷻ ، وقد يموت وهو مقبلٌ على الحج، ولذلك ثبت في الحديث عن أبي هريرة – رضي الله عنه وأرضاه –: (أن رجلاً قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثم دُل على عابدٍ فجاءه فسأله فقال: إني قتلت تسعة وتسعين نفسًا فهل لي من توبةٍ؟ قال: لا توبة لك. فقتله فكمل به المئة، ثم سأل عن أعلم أهل زمانه، فدُل على عالمٍ فجاءه فقال: إني قتلت مئة نفسٍ فهل لي من توبةٍ؟ قال له: وما يمنعك منها؟) هذا العلم، هذا النور، هذه البصيرة، سأل من عندَه نورٌ وعلمٌ، فالعالم هو الذي يدل وهو الذي يهدي بإذن الله ﷻ ، فقال له: وما يمنعك من التوبة؟ لأن العلماء أعرف الناس بالله علم هذا العالم سعة رحمة الله – جل جلاله –، وعلم فضل الله على عباده وحبه للمغفرة، وحبه لأن يتوب على عباده وفرحه – سبحانه – بتوبة من تاب، فقال له: "وما يمنعك منها؟" من الذي يحول بينك وبين الله – جل جلاله –؟ ومن الذي يمنعك منها؟ (ولكن قريتك قرية سوءٍ، وقرية بني فلان قريةٌ بها قومٌ صالحون، انطلق إليها) فخرج في آخر عمره وقد دنا منه أجله تائبًا منيبًا إلى الله – جل جلاله –، ولم يكن منه من خيرٌ إلا هذه الخطوات التي خطاها تائبًا إلى الله (فأدركه الموت فيما بين القريتين فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة العذاب: قتل مئة نفسٍ، وقالت ملائكة الرحمة: إنه تاب إلى الله، فأرسل الله إليهم – وفي رواية: فأوحى الله إليهم –: أن قيسوا ما بين القريتين. فوُجد أقرب إلى قرية الصالحين، فقبضت روحه مع الصالحين) هذا إن دل على شيءٍ فيدل على سعة رحمة الله ﷻ . مئة نفسٍ آخرها عابدٌ من أهل طاعة الله ومرضاته ومحبته، ومع ذلك ما قنطه الله ﷻ ولا حجبه ولا حرمه؛ لأنه كريم والكريم لا يرد من سأله – سبحانه وتعالى –، فمن هنا قال ﷺ: **[فاغفر لي مغفرةً من عندك]** وما كان من عند الكريم فإنه شيءٌ كثيرٌ، وقد يكون فوق ما يتخيله الإنسان من الرحمة واللطف والإحسان والبر – سبحانه وتعالى –.

[فاغفر لي مغفرة من عندك] فيه دليلٌ على هذا النوع من المغفرة – وهو الذي ذكره العلماء –: أن العبد يغفر له من الله ﷻ مغفرةً بغير سببٍ، فكما أن المغفرة تكون بالطاعات وترك المحرمات – وهي مغفرة الأسباب –، كذلك تكون بغيرها.

في هذا الحديث دليلٌ على فضل هذا الدعاء على سبيل الخصوص، وعلى فضل سؤال المغفرة في الصلاة، ولذلك يقول بعض العلماء: إن أفضل ما يدعو به الإنسان ويسأله ربه: أن يسأله العفو والمغفرة، ولذلك لما قالت أم المؤمنين عائشة: يا رسول الله ! أرأيت لو أني أريتها – أي ليلة القدر – ماذا أقول؟ قال: (قولي: اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني) فخير المسائل وأفضلها: أن يسأل العبد ربه المغفرة والعفو، وإذا عفا الله عن عبده فإنه بخيرٍ في دينه، وينال خير الدين والدنيا والآخرة.